يقصر الأصمعي كلامه على القدامى أيضًا ، فأمية بن أبي الصَّلت ذهب بعامة ذكر الآخرة ، وعنترة بعامة ذكر الحرب ، وعمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر النساء ، أما امرؤ القيس فهو أول من بكى الديار وسيَّر الظعن ، وعُيَينة ابن مرداس أَنْعَت الناس لمركوب من الإبل ، والراعي أنعتهم لمحلوب في القصيدة ، وابن لجأ أنعتهم لمحلوب في الرجز [1].

وعلى الرغم من محاولات الجاحظ ظلَّ النقد في مُجْمَله يقيس الشعر بفحولة الشاعر وضخامة اسمه ، وبمقدار ما حافظ في شعره على سَمْت القدماء ، والسير على نهجهم في بناء القصيدة الشعرية .

وتبدو محاولة ابن سلام قريبة في اتِّجاهها العام من محاولة الأصمعي ، حيث اعتمد آراء القدماء وتأثر بأحكامهم فأطلقها في فحولته ، فهو يحتج لكل شاعر بما وجده من حُجَّة له ، وما قاله فيه العلماء .

وبظهور الشعر والشعراء لابن قتيبة تأكدت حركةُ الاعتراف بالشعر المحدَث برصد سيرة أصحابه ، والاهتمام بأشعارهم ، حيث وقف موقفًا محايدًا تجاه النص الأدبي ، فلا ينظر إلا إلى العناصر الفنية التي يحتويها من خلال إحساسه الشخصي .

وقد أدت جهودُ ابن قتيبة إلى فتح مجال واسع أمام دارس آخر هو ابن المعتز في طبقاته ، ومن الواضح أن الرجل كان له إلمام بالثقافة اليونانية ، أكسبته طابعًا موضوعيا في كثير من الأحيان ؛ فحاول أن يعطي للمحدثين اهتمامًا خاصا في طبقاته ، وأن يتقبَّل منهم ما أنتجوه من شعر ، وإن حاول في الوقت نفسه أن يُثبت أن ما قدَّمه المحدثون له أصول في التراث السابق

(١) الأصمعي : فحولة الشعراء ،ص ١٥ ، ١٧ .